سينما

عن النقد السينمائي المغربي

عطبُ فكر وارتباكُ ممارسة

قراءة جديدة لواقع النقد السينمائي المغربي حالياً، تكشف جوانب مختلفة من الخلل المُصاب فيه، وفقدان آليات علمية وفكرية وفنية لكتابته

أشرف الحساني

لا أحد يُنكر المكانة الهشّة التي بات يشغلها النقد السينمائي المغربيّ، في جامعات ومراكز ومهرجانات وصحف ومجلات، إذْ تكشف بعض مُمارساته الموسمية أنّه مُغيَّب، بفعل عوامل ترتبط بارتباك أنماط كتابته، أو تهميشه من قِبَل جهات رسميّة، وصيّة على الشأن السينمائي المغربيّ. لذا، يبدو فهم مَعالمه، وضبط ميكانيزماته وتجاربه، أقرب إلى الاستحالة منه إلى المُمكن.

رغم أنّ مُختلف التجارب النقدية عملت على توثيق مُنجزها النقدي وأرشفته، عبر مقالات ومتابعات وحوارات ودراسات، لكنّها لم تكُن كافية لإضاءة المُعتَّم في سيرة السينما المغربيّة، وعلاقتها بالممارسة الفكريّة. لذلك، لا غرابة في أنْ تؤدّي هذه الكتابات دوراً سلبياً في تاريخ النقد السينمائي في المغرب، إذْ بات «تجميع» المقالات يدخل في إطار «مؤلَّف» في النقد السينمائي، مع أنّ شكل هذه الممارسة لم يعُد ينفع، نظراً إلى التحوّلات التي تشهدها الصورة السينمائية، يوماً بعد يوم.

في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، كانت السينما المغربيّة بحاجة إلى كُتيّبات ومؤلّفاتٍ تُعاين المُنجز السينمائي الواعد، وتُعرّف به، مغربياً ومَشرقاً، فراكم نقّاد مَغاربة عديدون كتباً اخترقت اللامُفكَّر فيه، تسهل قراءتها اليوم بحكم البُعد الارتجالي الذي طبع صفحاتها. فالقارئ يكاد لا يعثر، أحياناً كثيرة، على مقدّمة تُبرّر «تجميع» المقالات، مع غياب تامّ لنظام الأقسام والفصول، والاستطراد في التفاصيل، والاهتمام بالسياقات التاريخيّة والمفاهيم الفكريّة. لا شيء من هذا موجود، ومع ذلك، ظلّت الكتيّبات تُسمّى نقداً سينمائياً.

ربما يقول أحدهم إنّ المرحلة السياسيّة الحرجة، وبدايات تغلغل مفهوم الحداثة في النسيج الثقافي، فرض هذا النوع من الكُتب، كمُحاولة لتأصيل الفعل السينمائي في وجدان القارئ المغربيّ. لكنّ هذه الكتابات أثّرت بشكل سيئ على مفهوم النقد السينمائي، في الأعوام اللاحقة على صدورها، وجعلت مؤلّفاته تقتصر على «الجمع»، من دون العناية بجوهر الكتاب، وما يطرحه من إشكالاتٍ وقضايا وتحوّلات.

> تجميع المقالات في كتاب لم يعد ينفع في الفكر النقدي

عدم الوعي بأهمية النقد السينمائي كرّسته وزارة الثقافة في ندواتها الشحيحة، و«المركز السينمائي المغربيّ» في اللقاءات التي نظّمها. حينها، كانت ضرورية مراجعة التجربة النقدية المغربيّة، وتحصيلها، وإعادة التفكير بها، انطلاقاً ممّا تحتاج إليه من نقدٍ مُضادٍ لنماذج كتابته وأساليبها.

لذا، تبدو هذه الكتب السينمائية كأنّها فارغة. بل كأنّ القارئ يقرأ كتابة هيروغليفية معاصرة، وأغلبها مجرّد تغطيات وقراءات في تجارب سينمائية مُختلفة، تبقى على سطح الفيلم، وعلاقة المخرج/المؤلّف ببيئته واجتماعه وسيرته، من دون النفاذ إلى عمق الصورة السينمائية، وتفكيك شيفراتها، وإعادة بسطها، بما يجعل الكتابة النقدية تبني خطاباً بصرياً جديداً، يرافق ويلتحم بسيرة الفيلم، وفي الوقت نفسه، يصبو إلى تجريد ثقافي، يجعله كتابة فكريّة بامتياز.

ليس غريباً أنْ يُكرّس النقد السينمائي، اليوم، باعتباره خطاباً هامشياً على السينما المغربيّة، إذْ يُصادف المرء، في ندوات جامعية عن السينما، عاملين كثيرين في المجال البصريّ، باستثناء النقّاد. كأنّ دورهم لا يتعدّى الكتابة عن أفلامٍ، والتطبيل للقاءات «المركز السينمائي المغربيّ»، وتغطية أنشطته الموسمية، باسم النقد والمُعاينة. بمنأى عن هذا الواقع المرير، تتوفّر السينما المغاربيّة على أقلام نقدية، تخلق الحدث دائماً، لكنّ مؤلّفاتها تظلّ هشّة ومُرتبكة، لسبب يتيم، يكمُن في فهم طبيعة الكتاب السينمائي وجُدواه أصلاً، وما الذي يجعله أشبه بمونوغرافية تاريخية تُرافق سيرة المخرج في علاقته بتحوّلات الصورة والكتابة والمونتاج والموسيقى. فهذه رحلة بصرية. فكرية، تحتاج إلى أدوات كثيرة من المَفاهيم، وإلى خطّ واضح في الكتابة، وإلى معرفة واسعة في تاريخ الفكر الإنساني. المنهج يجعل الكتابة النقدية مُتراصّة ومُنتظمة ومُكثّفة، وتُفكّر أكثر ممّا تحكي.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ريجيس دوبريه: اشتغالاتٌ على الصورة مفقودة في النقد المغربيّ (سيرجيو غاودنتي/سيغما/Getty)

حوار أجراه **علاء المفرجي**

ترى المنتجة هدى الكاظمي في العراق أرضاً خصبة لإنجاز أفلام مختلفة، لقناعتها بأنّ هناك شباباً وشاباتٍ يملكون مَوهبة ويرغبون في الحِرفية

هدى الكاظمي

في العراق قصص تجعله يتصدّر المشهد السينمائي

درست المنتجة هدى الكاظمي إدارة الأعمال في «جامعة عَمّان الأهلية». من هناك بدأت رحلتها مع السينما، بفضل ورش عمل نظّمتها «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام»، التي ساعدتها على تطوير فهمها السينما. عملت بعدها في صناعة الأفلام في العراق، مع «المركز العراقي للفيلم المستقل» (بغداد)، واكتسبت خبرة كبيرة من عملها مساعدة مخرج في أفلام عراقية، طويلة وقصيرة، وثائقية وروائية، منها: «شارع حيفا» لمهنّد حيال، و«الرحلة» لمحمد الدراجي، و«طريق مريم» لعطية الدراجي، وغيرها. أخرجت فيلميّ «تغريدات عصفوري» و «جوف الصحاري».

لاحقاً، انتقلت إلى الإنتاج، بتأسيسها «شركة عشتار العراق للإنتاج السينمائي»، بفرعيها العراقي والأردني، وأنتجت «موصل 980» لمحمد علي سعيد، و«باب شرق، حرام» لميدو علي، و«جنائن معلّقة» لأحمد ياسين (مرحلة ما بعد الإنتاج)، وغيرها. كما عملت منتجة منفّذة لـ«كلشي ماكو» لميسون الباجه جي.

حاورتها «العربي الجديد» في شؤون سينمائية مختلفة.

■ ما الذي قاد خطاك إلى االعمل السينمائي، وتحديداً إلى مجال الإنتاج؟

عدتُ من عمّان عام 2013، وكان الإخراج السينمائي طموحي وشغفي، فعملت مساعدة مخرج في أفلام عدّة، وأدركتُ. من خلال هذه التجارب. أنّ الإنتاج أكبر مشكلة في صناعة السينما العراقية. لكوني مساعدة مخرج، كانت إحدى مهمّاتي وضع خطّة إخراج، فواجهت مشاكل كثيرة تتعلّق بالإنتاج. مثلاً: التأخير في العمل، أو تأجيله ساعات طويلة بانتظار الممثلين، أو فريق العمل لتجهيز الموقع... إلخ. كلّ ذلك بسبب عدم وجود منتج حقيقي، أو جهة منتجة تنظّم هذا كلّه. بفضل عملي بين العراق والأردن، تلك الأعوام، تعلّمت أنّ أساس العمل السينمائي الناجح يأتي من الإنتاج، ويتفرّع من قسم الإنتاج هذا: منتج رئيسي، ومنتج مشارك، ومنتج مساهم، ومنتج منفّذ، ومدير مواقع، ومدير إنتاج، ومشرفون على الإنتاج. لذا، حاولت اكتساب هذه الخبرة. كما شاركت في دورات تدريبية وورشات عمل سينمائية، نظّمتها «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام»، فأدركت حقيقة واحدة: كي أتمكّن من صُنع فيلم سينمائي عراقي جيّد، عليّ البدء في قسم الإنتاج.

■ هل أنت أول امرأة تعمل في هذا المجال في العراق؟ هل تتوقّعين صعوبات وعراقيل معيّنة؟

لستُ أول امرأة عراقية تعمل في الإنتاج السينمائي داخل العراق. قبلي، هناك فرات الجميل، التي أنتجت أفلاماً عراقية متميّزة، كـ«غير صالح للعرض» و«كرنتينة» لعديّ رشيد، و«الأوديسة العراقية » لسمير جمال الدين. هناك أيضاً بافي ياسين، التي عملت في الإنتاج السينمائي في شمال العراق. الصعوبات كثيرة، بالنسبة إلى الرجل والمرأة معاً. بالعكس، لكوني امرأة، صادفتني تسهيلات وفرصاً.

■ تعاني السينما في العراق، عامة، مشاكل كثيرة، أبرزها الإنتاج والتمويل. ما هي تصوّراتك لتخطّي هذه المشكلة؟

قبل الإجابة على مشكلة التمويل، دعني أقل لك إنْ أكبر مشاكلنا في الإنتاج إيجاد فريق عمل محترف لتصوير فيلم سينمائي جيّد. لا توجد لدينا اختصاصات معيّنة، كمساعد مخرج (راكور)، ومساعد مُصوّر (فوكس بولر)، ومدير صوت. لذا، نضطرّ إلى الإستعانة بفريق عمل من خارج العراق، لضمان الجودة العالية. هذا بالتأكيد يزيد من صعوبة التمويل، وضخامة الميزانية. حلّ هذه المشكلة كامنٌ في إقامة ورشات مكثّفة، لتدريب وتأهيل كوادر تعمل بشكل محترف. في ما يخصّ التمويل كمشكلة، فالإنتاج المشارك حلّ أنسب. أي أنْ تحصل على تمويل بسيط من العراق، كدعم مالي أو لوجستي أو فني بنسبة 40 بالمائة من الميزانية، ثمّ نستعين بمنتج مشارك، عربي أو أجنبي، ليشارك في الإنتاج، والحصول على التمويل من صناديق تمويل، مُستفيدين من وجود المنتج المشارك، من دول تعمل في الإنتاج المشترك، كفرنسا وألمانيا وبلجيكا. أو التقديم إلى صناديق التمويل غير المشروطة، كـ«مؤسّسة الدوحة للأفلام»، و«الصندوق العربي للثقافة والفنون. آفاق»، و«صندوق البحر الأحمر»، و«مؤسّسة المورد الثقافي».

هدى الكاظمي: «أنا متفائلة» (العربي الجديد)

■ ما السبب في عدم دخول رأس المال العراقي مجال الإنتاج السينمائي: هل يتعلّق الأمر بغياب ثقافة من هذا النوع، أو بسبب جبن يحول دون خوض مغامرة كهذه؟

عندما أتحدّث مع رجل أعمال عراقي، يعمل في العراق، طالبةً منه مُشاركتي في إنتاج فيلم أو تمويله، يسأل مباشرة عن الضمانَ من استثمار أمواله. سؤال كهذا، يُطرح على رجل أعمال، يتطلّب منّه التفكير به ودراسته، قبل الحديث عن مغامرة أو عن ثقافة مستثمر. بالنسبة إليّ، عليّ تقديم نموذج لأحد أعمالي، وهذا ما سأحاول عمله أو إثباته لنفسي بإنتاجي «جنائن معلّقة» لأحمد ياسين. المهمة صعبة، وتحتاج إلى دراسة سوق، وعقلية جمهور، ووضع خطة تسويق جيّدة.

■ لديك شركة إنتاج سينمائي. ماذا عنها؟

أمتلك شركة إنتاج سينمائي، بين العراق والأردن، «شركة عشتار العراق للإنتاج السينمائي». تعمل على إنتاج 4 مشاريع سينمائية، في مرحلة ما بعد الإنتاج، فيلمين قصيرين، «النازح الأخير» لمهنّد السوداني، و«ساعة السعادة في بغداد» لأيمن الشطري؛ وفيلمين طويلين، الروائي «جنائن معلّقة»، والوثائقي «باب الشرق، حرام» لميدو علي. هذه المشاريع ستكتمل قريباً، بحسب خطّة التوزيع والتسويق، بين عامي 2022 و2023.

■ وماذا عن ظروف إنتاج «جنائن معلّقة»؟

بدأتْ كتابته منذ عام 2016. بعد تطويره والمشاركة في ورشات سينمائية عدّة، بحثنا عن تمويل لتنفيذه، فواجهتنا عوائق كثيرة، أهمّها ضعف التمويل، ونقص الخبرات لدى الشباب العراقيين، إضافة إلى اندلاع «مظاهرات أكتوبر»، التي شهدها العراق عام 2019، ثم أزمة كورونا، التي شلّت الحركة تماماً في العالم، عام 2020، فاضطررنا إلى طلب قرض مالي من مصرف عراقيّ، لمباشرة التصوير وبدء العمل. استطعنا ذلك بداية يناير/ كانون الثاني 2021. حصل الفيلم على دعم محلي، على المستويين الحكومي والخاص، وعلى دعمين عربي ودولي: منحة «آفاق» في بيروت، واختياره لورش عمل عدّة مع جهات داعمة، فنّياً ومالياً، كـ«ورشة فاينل كات» (2021) في «مهرجان فينيسيا الدولي» في إيطاليا، و«فيرست كات»، بالتعاون مع «مؤسّسة الدوحة للأفلام» (2021)، و«سوق المشاريع الآسيوية» في «مهرجان بوسان السينمائي الدولي» (2020) في كوريا الجنوبية، و«سوق ومنتدى مالمو للسينما العربية» (2020)، و«سوق مهرجان جونة السينمائي» (2018) في مصر. كذلك، حصلنا على تمويل من «صندوق البحر الأحمر» في السعودية، عام 2022.

■ كيف ترين مستقبلك في السينما؟ وماذا تقولين عن المشهد السينمائي العراقي الآن؟

رغم الصعوبات المادية واللوجستية، أنا متفائلة، ولديّ أمل كبير للأعوام المقبلة. التجربة الأولى صعبة دائماً، في المجالات كلّها، ليس فقط في السينما. تجربتي في إنتاج «جنائن معلّقة» أعطتني قوّة وإصراراً للمستقبل.

عن المشهد السينمائي في العراق، أرى أنّ العراق يشهد ولادة شباب عراقيين طموحين، لديهم رؤية سينمائيّة مختلفة. أرى العراق أرضاً خصبة للاستثمار السينمائي، إذْ يملك قصصاً تجعله يتصدّر المشهد السينمائي العالمي. إضافةً الى تنوّع الجغرافيا والبيئات واللهجات، وسهولة الحصول على مواقع تصوير في مختلف المحافظات، ووجود طاقات شبابية لديها شغف التعلّم والتدريب وإتقان المهنة. هناك أرض خصبة للمنتجين العرب والأجانب للإنتاج المشترك مع العراق.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سيرة

درست هدى الكاظمي إدارة الأعمال في «جامعة عَمّان الاهلية». بفضل ورش عمل نظّمتها «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام»، بدأت تعمل في صناعة الأفلام في العراق كمُساعدة: «شارع حيفا» لمهنّد حيال، و«الرحلة» لمحمد الدراجي، و«طريق مريم» لعطية الدراجي. أخرجت فيلمي «تغريدات عصفوري» و«جوف الصحاري». ثم انتجت «موصل 980» لمحمد علي سعيد، و«باب شرق، حرام» لميدو علي، و«جنائن معلّقة» لاحمد ياسين.